دموع باريس

د. حسين مؤنس

ملخص الناشر

كانت منيفانيا في نظري حلما بعيدا جدا . ثم جمعتنا مصادفة غير سارة . فإذا بنا وكأننا كنا على موعد . أمسينا أنا وسنطيع أن نقاسم حياة واحدة . ولكن سحابة داكنة مرت وكادت تقضي على كل شيء كانت هي جميلة جدا وغنية جدا . وفي لحظة ما تصورت في أني أحدث شيئا من هذا

■■■

وظلت تنظر إلي وأخوف في عينيها ثم قالت

– ماذا أتى بذلك كله إلى هنا . ؟

– لا أدري . بعد أن خرجت من الحمام جاءت مني نظرة فوجدت هذا كله كما ترين . ما مسست شيئا منه بأصبع

– ولكن . كيف أتى إلى هنا . لابد أن لصوصا دخلوا هذا البيت .

– ربما . ولكن انظري أولا . هل ضاع منه شيء . ؟

– لا أدري . ذلك كله كان في صندوق حديدي أحتفظ به في حجرة نومي . إنه خزانة صغيرة .

وظلت حول فوجدت الصندوق الحديدي على كرسي إلى جانب الكونسول فقلت

– أليس هذا هو الصندوق . ؟

– نعم .

وامسكت به لأنظر فيه . ثم استخرجت منه ورقة فهمت بعد ذلك أنها قائمة بمحتوياته فقلت

– تعالي نراجع القائمة على الموجود . هكذا نعرف إن كان هناك شيء مسروق .

وعكفنا نراجع وانتهينا إلى أن كل شيء هنا عدا قرطا من الماس وعقدا من اللؤلؤ وأمورا ذهبية ذات معلقات .

قالت :

– هذه سرقت .

قلت :

لا . هذه لم تسرق . انظري في حقيبتك أو إلى جانب دولاب ثيابك أو على المقعدة الصغيرة . إلى جانب سريرك .

ودخلت وعادت خطوات وعادت تقول :

– وجدت العقد والأمورة . بقي القرطان .

وابتسمت وقالت :

– إنها في أذنيك .

ولمست أذنيها وخلعت القرطين وضحكت وقالت :

– صدقت حتى . ولكن . من أتى بالصندوق ووضعه هنا

– لا أدري

وصمت مفكر . وجلست على البساط وعادت تشرب الشاي . ثم عاد إليها الفزع وقالت :

– أنا . . أنا التي فعلت ذلك . . يا إلهي . إني من غبية . . كدت أضيع مالي كله ! أم أقل لك إني لا أصلح لشيء

– قولي لي الآن . ماالذي حدث

– الآن أتذكر ما حدث ! من أربعة أيام أو خمسة . كان ذلك مساء الثلاثاء . كان عيد ميلاد واحد من أصحابي وكنت قد نسيت الموعد . فانطرق ثم استعرق بالبكاء . فأسرعت ارتدي ملابسي . وبسبب تعجل أحدث الصندوق وبعثرت ما فيه كما ترى لكي أختار ما أريد . ثم تركت كل شيء في هذه الفوضى وجريت ! ثم مضت تضحك وقالت : تصور أني ألح على البواب من أربعة أيام لكي تصعد لتنظيف الشقة . والمفتاح عندها ! لو أنها دخلت مرة لاكتشفت ذلك كله . ربما استطعت أن أعود عليها بشيء

وسبحت مع أفكارها وعفت وجهها كأنه . .

قلت :

– الآن قومي فتمشي أشيائك مكانها . وعدي نقودك . خاصة تلك القطع الذهبية الكثيرة .

– الآن أقوم . دعني أشرب الشاي .

– أرجوك . قومي الآن . وسأذهب أنا إلى المطبخ لعمل شاي جديد .

– قالت : أرجوك أن تظل مكانك . سأعيد هذه الأشياء إلى مكانها وأعود لأعد لنا شايا . أريد أن تمشي معي الليلة هنا

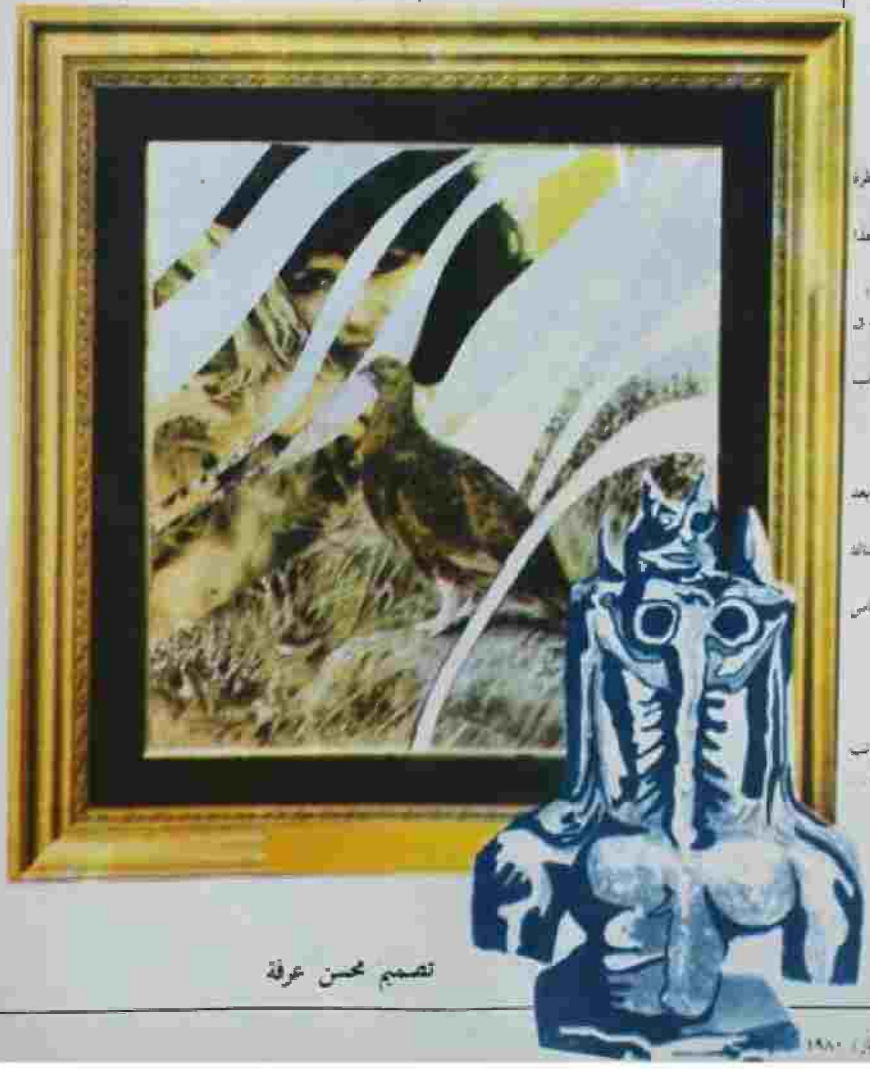

تصميم محسن عرفة

وأخذت الصندوق وأخذت تضع أشياءها وتقرؤها
وتقول جرين الليمون . فيفيت لازد . قالت :
– أرجوك . لا أريد تليفونات من أحد . إنزع الفيش أرجوك
لا أحد اليوم إلا أنت وأنا . إذا طرق الباب فلا تفتح .
وقاربت بعض الوقت في غرفتها . وعادت وهي في كامل أناقتها .
وعادت بيدها إلى حيث تناولته فإذا به عملة ذهبية فيما خمسة
جنيهات . قالت :
– هذه لك .
– أعفني من تلك الهدايا يا عزيزتي منيرة . صدقني إني
لا أريد تكديس صدقات .
قالت :
– أنا لا أقدم منك أكثر من الصداقة . هذه الهدية لأنني
أريد أن أراحني وكل ما عندي . طول عمري أشعر أني في
حاجة إلى رجل مثلك . أريد عوادا أسند إليه ظهري . إني صاحبة
كما ترى . أهل صديقون وأصدقاء يهولون ويريدون أن أتجر بشيء .
أريد أن أعيش في هدوء . أريد أن تكون لي أسرة : زوج وأولاد
وبيت . إني مال كثير كما ترى . عندما في « أليزيه » ثروة ضخمة
وليس هناك إلا عمي وأنا وأعمى .
– تقصدين ؟
– أجل . أقصد بالضبط مال زعنفة . أنا أعرف أن العادة لم
تجر بذلك . ولكن هناك لحظات لابد أن يتصرف الإنسان فيها
تصرفا غير عادي . عندما تجد المرأة الرجل الذي تبحث عنه يبقى
في رأيي أن تقول له إنها تحب أن تكون زوجته . وقد رأيت في
عينيك أني أعجبك . فلا داعي للتردد . إني أريد أن أكون
زوجتك . لا أريد أن تخرج من حياتي ولا أريد أن أخرج من
حياتك .
ونظرت إلى قطعة الذهب في يدي ثم قالت :
– هل تصدقني يا سنيو إن هذه أول مرة في حياتي أجد في يدي
قطعة ذهب . إني رجل بسيط جدا يا سنيو . إني طالب . طالب
مصري لا يملك إلا الرغبة في النجاح والأمل . والذي تعرفيه
عني كثير جدا . إنه أكثر مما أحتمل . لم أفكر قط في أن أكون
صاحب مال . ولا أعتقد يوما أن تكون لي زوجة في حياتك
أو حسبك .
فقاطعتني قائلة :
– هناك سؤال واحد يبقى هنا . هل أعجبك وترضى بي
زوجة .
– قطعا . ولكن .
– كل « اللاكنات » بعد ذلك لأنني . المهم هو إني أعجبك
وأنا نحس نفس إحساسي . نريد أن نعيش معي عمرك كله .
الباقي تفاصيل . كل شيء سنطيع تذليله .
ثم اقتربت مني ووضعت كفها على كتفي وقالت :
– أتدري ماذا كان شعوري قبلك ؟ شعور خوف دائم . كنت
أشعر في الحياة كالسائر في النفق دون مظلة . والآن فجأة يوقف
المطر وتطلع الشمس وفي يدي مظلة .
وضحكت . وجرت نحو المطبخ وهي تقول :
– إني طالبة غير مرفهة . ولكني قطعا زوجة صالحة . سترى
الآن غيضة من طعامي الذي سأكله مايق لك من عمر .

● ● ●

وظلت وحدي في تلك القاعة الجميلة وفي يدي القطعة الذهبية
الكبيرة . وضعتها في جيبي وجلست . وجعلت أقول :
– مشيتك يارب ؟ ذلك تحقيق كل آمالي . مال وجمال وهدوء
بال ومستقبل كأنه وردي . لكني مشيتك . من الكفر أن أرفض
هذه النعمة كلها .
ثم سبحت في أفكاري وردني الأفكار إلى واقع حياتي وقلت
لنفسي : ولكن . ماذا أعمل وأنا طالب وعضو بعثة وكفيل عندي
حقوق ؟ ماذا أعمل وفي رقبتي أسرة من أم وأخوات كل عوائدهن
علي ؟ ماذا أعمل وأنا أحلم طول عمري بأن أكون أستاذا أعيش
بالعلم وللعلم . ماذا أعمل وهناك وراء البحر وطن أعتقد أنه بحاجة
إلي .
وقطعت سنيو حبل أفكاري . كان الطعام الذي أعدته جميلا
جدا . أكلنا في انطلاق المسيح الثري . أكلنا وضحكنا ورحنا صورا
جميلة زاهية لمستقبل ما زال وراء السحاب .
بعد العشاء قلت :
– الآن أعود إلى بيتي .
– وتتركني وحدي .
– إلى حين . إن « أليس » تنتظرني .
– ومن أليس ؟
– أليس البرتغالية ربة البيت الذي أسكن فيه . إنها ربة بيتي
وولية أمري .
– رجل هي جميلة . ؟
– إنها في الخمسينات . وجميلة أيضا .
– وماذا السلطان الذي لها عليك .
– لاشيء . لاشيء هناك . ستعرفك يا يوما . وستحبها .
– وهل من الضروري أن تذهب . ؟
– أعتقد ذلك .
– ولن الصباح لتكون هنا . ؟
– نعم . أرجو أن تعلق بابك بالمفتاح . لا تردي على تليفون .
ولاتستجيبي لأحد . الليلة تنامين حتى الصباح . ما أكرم أنا
الذي أوقظك في الضحى .
– نفطر معا ؟

– خطر وتعدى وتعدى .
الأيام التي أعقبت تلك الليلة كانت من أجمل ما مر في حياتي
العمر الطويل . كان كلانا يشعر بأنه يبحث عن نفسه ويجدها . أنا
وجدت نفسي فيها . وهي وجدت نفسها في . وكنت قد حكيت
القصة كلها لسنيو أليس الويلي راندان . حكيتها لها عقب وصولي إلى
البيت . كنت قد وصلت متأخرا فوجدتها في انتظاري للتعاسي
على التأخير . كنت أكره ذلك منها لأني رغم إيماني بضرورة
الزواج كنت أعتبر مثله كراهة لاستبداد الزوجة . لم يكن يقلقني إلا
أن تمسك القطة وتقف لي وراء الباب .
قالت عندما رأت وجهي :
– الآن تعود ؟
– نعم .
وماذا أعرك . ؟
– سأقص عليك كل شيء . دعيني الليلة أتعامى . إن صعود سلك
أدوار ليس بالعمل الهين .
– وهل من الهين أن أظل أنتظرك حتى الثانية بعد منتصف
الليل .
– ربما ظننت أن ثمة .
وفي غضب بالغ أنهتها قائلة :
– الآن أقول لي ذلك بعد أن لمسك من الطريق وهديتك
وحملتك إلينا .
ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي أضع فيها هذا الأستوذة . إنها
لم تنس أبدا أنها خادمتي وهددتني وغضبت علي الباب . ولا أنا
نسيت ذلك . ولكني تذكرت الآن القيل . ولم يطل تفكيري لرد الصاع
بالصاع . ولكني كنت أحبها وكان شكري بالعرفان لها عميقا
جدا . ثم إنها كانت في الخمسينات والمرأة في الخمسينات تحتاج إلى
تدليل وصبر طويل . خاصة إذا كانت مثل أليس لا تريد أن تسلم
قط أن السنوات تمر عليها كما تمر على غيرها . . فكانت عادتي إذا
رأيت منها الغضب أن أصمت . أدعها تتكلم وتصيح وأنا
صامت . وبين الحين والحين أرجوها أن تعلو علي وأن تنسى جوائز
وقلة عرفاني للجميل . وبعد الثورة ترضى علي . وعلامة الرضا هي
أن تسأل :
– هل تعشيت .
– نعم . . . .
ويعود إليها غضبها
– مع من ؟
– اجلسي يا أليس . اجلسي مستمعين حديثا عجبا
وأسرع إلى المطبخ وبعد إبريقا من الشاي . وتعود وتجلس لتسمع
الحديث العجيب . وكنت أحسب أنها ستحطم الإبريق على
رأسي . ولكني أرى أنها تأثرت لقصة هذه السكينة سنيو .
وعدتني لقضاء الوقت معها وروقوق إلى جانبها . ثم تعد ملابسها
وتنام .
– وغنية هي ؟
– جدا .
– وكريمة هي ؟
– جدا جدا .
– إذن تستطيع أن تسلبها وتقف هنا .
– أرأيت أوحلت نفسك في الموضوع .
– عساك هممت أني أدعك معها وحدك .
– لا يا أليس . لا شيء يعلو لي هنا بدونك . سأقدمها لك .
وستحبينها . فلا مناص هي لزيارتنا سيارتها .
– وعندها سيارة .
– نعم عندها سيارة
وبرقت عيناها . وصحت في الثاني

دموع باريس

وفي الغد أتت ستيف منذ اللحظة الأولى تأكدت المرأتان : كانت إحداهما في حاجة إلى الأخرى ، كانت في حاجة إلى بنت تحرح عليها حنانها ، وكانت ستيف في حاجة إلى من تريح رأسها على صدرها

ولكن أكثر ما سر اليس أن ستيف كانت غنية وكريمة ، فلم تدع فرصة لاستغلال هذا الكرم إلا استدرتها . لايتصور أحد الطفلة المالية للبورجوازية الفرنسية ، واليس كانت بورجوازية من رأسها إلى قدميها ، وكانت باريسية تحب الملابس وتحب التطور وتحب الطعام .

كانت تختار لنا كل يوم مطعما تتحفى فيه ، وكانت تتحرى أن يكون من أكثر مطاعم باريس وأغلاها ، وكانت تذهب معها إلى دور الأزياء في فيوير سانت أونوريه وتغمر غلاس ، تكلف ستيف ثمانية الفاتنة ، وكانت تشتري على حسابها خطوطا من كل صنف .

وقالت لها

– خفي عنا يا اليس ... إنها بنت طيبة وهي لحبنا .

– لحبك أنت

– إذن خففي عنا لحاطري ..

– يا مسكين ... أنت لا تدري ماذا يحدث غدا .. دعنا نستمتع باليوم قبل أن يأتي الغد .

وتذهب إلى غرفتها وتزتدي شيئا مما اشترته من مال ستيف وتعود تقول

– أليس جميلا ؟

– عليها جميل

– أتدري أجمل ماقيه ؟ أني لم أدفع فيه شيئا .. طوك عمري أحلم بأن أليس شيئا من عند ماجي روف .. هذا الفستان من ماجي روف ..

وبعد لحظة صمت :

– ولكن .. ألا ترى أن ستيف مجنونة ؟

– أجل في أعماقها حزن لا أدري ما هو .. إنها خائفة

– خائفة من شاب يسمى جان كلود ..

– ومن جان كلود ..

– شاب كانت تحبه .. أو أظن أنها لازالت تحبه .. يبدو أنه شرير جدا وضعلوك نصاب .

– وكيف تحب شريرا ضعلوكا نصابا ..

– لأننا نحن النساء مجنونات .. نحن نحب الشرير الضعلوك النصاب حبه إذا كان جميلا .. إذا كان هو بطلا القلب والعين –

في اليوم الثاني كنت مع ستيف في شقتها . فتحت في دولاب عمها وقالت : انظر هذه كلها ملابس لم يلبسها من حين وان يلبسها قط .. فلماذا لا تأخذها ؟

– لأني لا أحتاج إليها .

– سآخذها .. أرسأخذ أحسنها .

– وهنا من ذلك وقوق لي : من جان كلود

وقرأت في عينيها دعا . وظلت تنظر إلى ثم رأيت دمعات تتحدر على خديها وقالت :

– وماذا تسأل عن جان كلود .. ؟

– لأني أحبك يا ستيف .. أحبك ولا أحب أن يجعلك أحد ..

– إني لا أحداف جان كلود .. لقد انتهى من حياتي .. انتهى ولن يعود ..

– هل أنت واثقة ..

– نعم .. عادت قد وجدتك فلم يعد هناك إلا أنت ..

– إذن اقتضي على كل شيء .. أريد أن أعرف قصة جان كلود

ولم ترد . ذهبت إلى الصيدلية وعبيت حقيبتها . وجلست على كرسي وثير وجلست إلى جوارها .

وقصت علي حكايتها مع جان كلود .

إنه شاب فرنسي جميل طويل عريض ولكنه ضعلوك أو لص ، ولكنها أحبته . سرقها وسبها وضاجها مرة بعد أخرى . ولكنها ظلت تحبه . إنه أسوأ مالي حياتها وأحسن مالي حياتها إنه حبها ومخاوفها

ثم التفتت نحوي وقالت :

– ولكنه انتهى الآن .. لن تخدعني مرة أخرى .. أنت ستحميني منه .

– سأحميك منه إذا كنت أنت تريدين ذلك .. أما إذا كنت ما زلت تحبينه فإذا أستطيع أن أفعل .. ؟

– قلت لك إني أكرهه وأحتقره ولا أريد أن أراه .. وأنت ستحميني منه .. أليس كذلك .. ؟

– نعم .. وبيعدي ذلك .

وأسندت رأسها إلى صدري ودموعها تجري . وقامت وحملتها ووضعتها في فراشها وغطيتها وأغلقت عليها الباب .

بعد أيام كنا في مطعم ونرقص في صالة من صوالي باريس تسمى روبانسون .

كانت ستيف سعيدة جدا وطروبا جدا .

وكانت اليس تأكل بنهم المقهور

وكانت الساعة الحادية عشرة ليلا .

ومن بعيد أقبل شاب طويل عريض وسيم نظرت إلى عيني ستيف فرأيت فيها رعبا

كان هو جان كلود

واقترب واقتحم علينا مجلسنا دون استئذان ومضى يقول :

– ماذا جرى يا ستيف .. أغيب عنك أياما وأعود فأجدك قد نسيتني .

– لا أريد أن أعرفك .. وأرجوك أن تبعد عن هذه المائدة حتى الآن مع حقيبي .

ونظر إلى ذلك الوقح وضحك ، ثم قال في سخرية :

– حقيبك ؟ منذ متى .. ؟ ومن أنا ؟

وقالت اليس

– أنت تذهب عنا من فضلك .. حقا إنك سمج جرئ .. فنظر إلينا في احتقار بالغ وقال :

– ومن هذه هي الأخرى ؟ أم حقيبك .

ولا أدري ما الذي حدث . لا أدري من بدأ المعركة . الذي أذكره أني اشتبكت معه بالأيدي ، وتقاربنا وحال بيننا الناس وصاحت ستيف مروعة

– الآن نخفي عنا أيها الوقح

وقال الشاب :

– أجل سأمضي .. ولكن لابد أن أصفي حسابي معك

– لقد صفيته .

– لا .. ليس هنا .. لابد لي من جلسة معك بعيدا عن هذا الرجل وتلك المرأة

وقالت أليس :

– لا تذهبي معه يا ستيف .

وقلت :

– أرجوك يا ستيف .. تعالي معنا .. ستنام الليلة عند أليس

وصمتت ليست ثم قالت :

– وما ذنبك .

– إنه ليس ذنبا .. إنه واجب .. أنت الآن فتاتي ولاشأن لهذا الهجري بك .. فاسكت بذراعي وقالت

– لا تخف علي .. دعوني معه الآن .. سأصفي حسابي معه . ولن يعود إلى حياتي أبدا .

وقالت أليس :

– ستيف .. أرجوك .. لا تذهبي معه .

– بل سأذهب لكي أضع حدا لتهديده

وقلت :

– فكري يا ستيف .. أنا لا أمن عليك

– لا تخف .. إن هذا الإنسان مشكلتي أنا .. ورأيا وحدي أحلها

وأشارت إليه وصفعت وجهي عظمها وهو يضحك .

وأخرجت أليس منديلا ومضت تمسح الدم من جوانب وجهي وشفتي . ثم أحنى بها كنت أنظر إلى ستيف وهي تسير كالمأسورة وخلفها ذلك الضعلوك

وقالت أليس :

– ضاعت ستيف .. ضاعت منك ومني .. أنا أعرف ذلك .. قلت لك إنها تحبه .. إنه شقاؤها وهو سعادتها .

– هل يعقل أن تعود إليه .

– لقد عادت إليه

– ولكن .

– ليس هنا ولكن .. هنا امرأة تعشق رجلا .. امرأة مسكينة معذبة قلبها .. معذبة حبا

– وأنا .

– أنت ؟ أنت تدفع الآن الحساب وتعود معي وتحاول أن تنسى ستيف . هذه محكوم عليها بذلك الرجل .. أنا باريسية وأعرف ذلك .

البقية في العدد القادم